Al-Itqan Journal of Humanities available online at https://iraqiqsa.org/Journal/index.php/AIJHS/index
ISSN: 3105-1073 (OnLine)
المجلة معتمدة بالترقيات العلمية حسب كتاب وزارة التعليم العراقية (46404-1410) في 2026/4/27

إشكالية الاختيار للمصطلح النقدي مصطلح نقد النقد أنموذجا

م.د احمد عبد الكريم
احمد حسين الدراجي
العراق وزارة التربية/ الكلية التربوية المفتوحة

المقدمة

في أي علم من العلوم لابد من مصطلحات منضبطة وثابتة تحمل مدلولات ذلك العلم وحمولاته المعرفية، والأدب واحد من تلك العلوم. على إنه ربما أكثر العلوم إرباكا في القضية المصطلحية شأنه في الغرب كشأنه عند العرب، لكنه في البيئة العربية أكثر إشكالا وتعددا واختلافا، ولسنا هنا لتعداد أسباب ذلك الإرباك، لكننا نشير إلى إنه واقع ملموس يتجلى على مختلف الأصعدة الأدبية، ومنها صعيد المصطلح النقدي، فقد تنوعت المصطلحات للمفهوم الواحد واختلف وتعددت لأسباب لعلّ أبرزها عدم الركون إلى مرجعية واضحة أو مؤسسة متخصصة في هذا المجال، فالجهود أكثرها جهود فردية لناقدين يغترف كل واحد منهم من منهله الخاص به، وكذلك كون اكثر المصطلحات هي مصطلحات مترجمة عن لغات غير العربية تختلف في بيئتها حول مفهوم واضح للمصطل، لتزداد المسألة غموضا حين تتم ترجمة ذلك المصطلح، ولذلك نشهد في أدبنا العربية اقتراحات عديدة لمصطلح واحد قد يقترب قسم منها من المفهوم ويشيع وينتشر، وقد لايتجاوز بعضها حدود الكتاب أو المجلة التي نشر فيها. وفي هذه الدراسة سندرس إشكالية مصطلح نقد النقد محاولين تسليط الضوء على قسم من أهم المحاولات المصطلحية فيه.

الكلمات المفتاحية: نقد النقد، النقد الشارح، قراءة القراءة، الميتانقد نقد النقد إشكالية المصطلح بين الدراسين

Abstract
In any field of knowledge, there must be precise and fixed terms that convey the meanings and cognitive weight of that field, and literature is one of those fields. It is perhaps the most confusing of the fields in terms of terminology, as is the case in the West as it is among Arabs, but in the Arab environment it is even more problematic, numerous, and varied. We are not here to enumerate the reasons for this confusion, but we point out that it is a tangible reality that manifests itself on various literary levels, including the level of critical terminology. The terms for a single concept have diversified and varied for reasons that are perhaps the most prominent of which is the lack of reliance on a clear reference or a specialized institution in this field. Most efforts are individual efforts by critics, each drawing from his own source. Also, most of the terms are translated from languages other than Arabic, which differ in their contexts regarding a clear understanding of the term. The matter becomes more ambiguous when that term is translated. Therefore, we see in our Arabic literature numerous suggestions for a single term, some of which may come close to the concept and become widespread, while others may not extend beyond the confines of the book or journal in which they were published. In this study, we will examine the problem of the term “criticism of criticism,” attempting to shed light on a section of the most important terminological attempts in it..

لعل أهم ميزتين يتميز بهما مايسمى "نقد النقد" هما أولا: قلة الدراسات والمؤلفات حوله، وثانيا: الغموض وعدم وضوح الرؤية لدى النقاد حوله. وحتى دارسوه الذين بذلوا محاولات جادة في تحديده والتنظير له، لم يتفقوا على مقاربة مشتركة بينهم عند تناوله، ولذلك فإن الكثير من الدراسات حين حاولت الإضاءة ارتكبت التعمية، ولم ينجح الكثير منها في أن يجيء بمعطى مقنع لا لبس فيه في مقاربتها للمفهوم.ورغم الإقرار بقلة الدراسات في هذا المجال المعرفي إلا إننا لانعدم عددا من المحاولات العربية لدى عدد من النقاد في هذا المجال، ولو عددناها لبانت أنها كثيرة، لكن الحقيقة أن أغلبها مافتيء يلف ويدور حول المصطلح وحول الآراء التي تناولته دون ان تعطي حكما دقيقا قاطعا فيه.والعملية المصطلحية ليست عملية سهلة بحال من الأحوال، وليس اقتحامها والخوض فيها بالأمر الهيّن، بل يحتاج ممارسها إلى إمكانات معرفية تؤهله لأن يخوض فيها، معرفة في مجال تخصصه أولا، ثم معرفة في المفاهيم التي سيطرحها هذا المصطلح، ويتبعها بلا شك معرفة في طبيعة اللغة وإمكانياتها

وقدرتها على أن تعطي المصطلح المختار المفهوم المراد منه، ولذلك لم نعدم محاولات كثيرة في الابتكار المصطلحي، كتب لبعضها النجاح والشيوع، وكتب لكثير غيرها الفشل وعدم الشيوع، فالمصطلح الذي يشيع في الغالب هو المصطلح الذي تتفق عليه الأغلبية من المستخدمين له، وقد لايكون موافقا للغة وأصولها، وقد يخالف بعض أساسيات استخدامه، لكنه يشيع لأمر ما قد لا يكون معلوما ومفهوما لدى الجميع، وقد أشار الدكتور "عبد السلام المسدي إشارة مهمة وصحيحة حين قال ((فالمصطلح يُبتكر فيوضع ويُبث، ثم يُقذف به في حلبة الاستعمال، فإما أن يروج فيثبت، وإما أن يكسد فيختفي، وقد يُدلى بمصطلحين أو أكثر لمُتصَوَّر واحد، فتتسابق المصطلحات الموضوعة، وتتنافس في سوق الرواج، ثم يحكم التداول للأقوى، فيستبقه، ويتوارى الأضعف))[١]، ومن أمثلة المحاولات المصطلحية التي كتب لبعضها الشيوع ولغيرها عدمه ((مصطلح الأيديولوجية الذي حاول طه عبد الرحمن تعويضه بلفظ الفكرانية، فكالنت محاولة فاشلة؛ لأن الذوق العربية قد استساغ لفظ الأيديولوجية، فذاعت في التداول لدى أغلب الباحثين، ولم يعد الذوق محتاجا إلى استبدال لفظة أخرى بها مهما كانت صحتها اللغوية والدلالية، في حين نجح طه عبد الرحمن في اقتراحه لمصطلح التداولية سنة: ١٩٧٠م، ترجمة للمصطلح الأجنبي (pragmatics) فلقي المصطلح رواجا كبيرا، فأنقذ به المجال الألسني من الفوضى المصطلحية؛ لأنه قبل انتخاب لفظ التداولية كانت هناك مصطلحات كثيرة تنافست لتظفر بسر الخلود مثل: البراجماتية، والذرائعية الجديدة، وعلم الرموز، وعلم التخاطب، وعلم الاستعمال اللغوي..))[٢]، وذلك ديدن أي محاولة إضافة في أي علم من العلوم، إما النجاح وإما عدمه.ومن المسلّمات التي لابد منها أن أي مصطلح من المصطلحات يحتاج إلى التعريف به وبمفهومه كعملية إجرائية منهجية وحتمية لأي علم من العلوم، حتى تكون الدلالة فيه قطعية، او شبه قطعية، فلا تشتبك عليه الحمولات الدلالية بحيث يصبح قابلا للتأويل والتفسير باختلاف الآراء والمشارب، وذلك ما لم يحصل قطعا مع مصطلح "نقد النقد"، فكل الدراسات التي تناولته وحاولت فك شفرة مفهومه ودلالته ربما زادته تعمية وهي تحاول تفسيره وتقديمه للمتلقي، فغالب تلك الدراسات التي كان ميدانها نقد النقد لم تستطع تقديم تعريف جامع ولا تمكنت من عرض ماهيته، او غاياته، بل لم تتمكن من تحديد إجراءاته المطلوبة لنجاحه في ميدان عمله، ((فأكثر من ناقد ينبه إلى وجود نقد النقد، و يحدد موضوعه، و علاقته بالنقد و يذكر فعله في أنساقه و دوره في مراجعته وتقويمه .. غير أن ذلك لم يقر لنقد النقد موقعا بارزا في مجال الفكر، و لم يوسع عملية التعريف به، و لم يهيئ جهازا نظريا يوضح البنية المفهومية و يحدد معالمه ويكشف عن عوامل ظهوره وحوافزها))[٣]. ولذلك فلن نستغرب كثرة الاقتراحات التي تعلقت بمصطلح "نقد النقد" وتنوعها واختلافها بين الدارسين لها، وقد حاولنا في هذا البحث رصد هذا الاختلاف والتشظي عند أبرز من حاولوا الاجتراح فيه، ولا ندعي الإحاطة بهم جميعا، لكننا اكتفينا بمن شاع عند الدراسين تناولهم لهذا الاجتراح وحظي بالمراجعة والمناقشة، ولذلك فإننا سنكتفي بثلاث محاولات ونناقشها، أولا لأن من قام بها هم نقاد لهم شأنهم في هذا المجال، وثانيا لأن محاولاتهم لقيت صدى وتأرجحت بين القبول والرفض، وهؤلاء النقاد هم كل من جابر عصفور من مصر، وعبد الملك مرتاض من الجزائر، وباقر جاسم محمد من العراق.

أولا: النقد الشارح، الدكتور جابر عصفور

معلومة هي المكانة التي يحتلها الدكتور جابر عصفور في فضاء النقد العربي، فهو اسم بارز وعلم من أعلام الحداثة العربية في مجال النقد الأدبي، ولقد أسهمت كتبه ودراساته بتقديم دفعة جديدة ومهمة في نشر الفكر النقدي الحداثي وبلورة مفهوم للحداثة لا ينفصل عن المصدر الغربي لكنه يستقي من التراث النقدي العربي ويتفاعل معه ليخرج بحصيلة معرفية جديدة لا تتكفي بالحداثة منهجا، ولا تنقطع عن تراثها مضمونا، ودراساته الكثيرة تشهد له بباع طويل في مجاله ومعرفة نقدية خاصة لها سماتها وملامحها الفارقة. وإذا كانت الحداثة الفكرية والنقدية هي شغله الشاغل في أكثر ما كتبه، فإن المصطلح النقدي كان جزءًا أصيلا فيما قدمه وما اقترحه ودعا إليه فكان له إسهامات مهمة في مجال المصطلح وتحديثه، وتقديمه للدارسين العربي في حقل النقد و ((في هذا السياق لعف عصفور دوراً مهما في إدخال مصطلحات نقدية جديدة إلى الحقل الأدبي، مستلهما في ذلك التيارات النقدية والفلسفية الغربية، مثل البنيوية وما بعد النبيوية والتفكيكية))[٤] لم يدّعي الدكتور جابر عصفور نسبة هذا المصطلح إلى نفسه، بل أقر وبلغة هادئة وسلسة أن مرجعيته في هذا المصطلح هو مجموع ما تناولته دراسات غربية سابقة في ذات الموضوع، وأنه رأى أن هذه الدراسات كانت مصيبة فيما اقترحته. ولتجلية نظرته تلك ومعرفة مدى اقتناعه بما اقترحه نوضح ما طرحه من سياقات وحجج ومبررات لهذا المقترح.يمهد الدكتور جابر عصفور بمقدمات مهمة، لكنها صارت من قبيل البديهيات التي لا يمكن إنكارها بحال من الأحول، وهو وإن أطال في تقديمها شيئا ما، فإن من المهم طرحها لمعرفة العلة التي بسببها اختار هذا المصطلح دون سواه. ينطلق مبدأ جابر عصفور من مبدأ أن وعينا بنقد النقد من وعينا بالنقد نفسه، لذلك يطيل الشرح في ماهية النقد الأدبي وإشكاليات حضوره وطرائق كلامه.أولى هذه المنطلقات التي يؤكدها الدكتور جابر هي إن النقد الأدبي الحديث ((ينطوي على درجة عالية من الوعي بالذات، وأنه في الوقت الذي يؤكد الحضور المستقل للأعمال الأدبية، في حال تناوله لها، يؤكد الحضور المستقل لنفسه بوصفه مؤسسة، او بنية علائقية من الممارسات الخاصة، أو مجالا معرفيا

متميزا بذاته وفي ذاته))[٥]، ومن أبرز تجليات هذا الوعي تكمن في الكتابات الوفيرة التي تاريخ النقد الأدبي، والكتابات التي تحاول تصنيف حاضر النقد الأدبي، والمؤسسات النقدية التي تحاول ملاحقة المداخل والمناهج والمصطلحات المتدافعة والتي لا تكف عن التغير والتحول، وكذلك ذلك الكم الوفير من الكتابات التي تراجع عمليات النقد ممن اعتدنا تسميتها بنقد النقد، وأخيرا الوفرة اللافتة من كتب النظرية النقدية[٦]. وقد وصل الحال بالنقد من التقدم والازدهار الفكري الى الحد الذي جعل أحد الفلاسفة التحليليين في الولايات المتحدة، وهو "ريتشارد روثي" ومنذ العام ١٩٧٩،إلى أن يؤكد أن ((النقد الأدبي حلّ بالفعل محل الفلسفة في الولايات المتحدة وانجلترا في وظيفتها الثقافية الأساسية، من حيث هي مصدر للتميز الذاتي لدى السباب في تحديد اختلافهم عن الماضي))[٧]، وحين أصبح النقد الأدبي واعيا بذاته كل هذا الوعي، الذي هو علامة فارقة من علامات حداثته، هذه الحداثة التي تنطوي على وعي ضدي يجعلها تضع نفسها دائما موضع المساءلة والتوتر الدائم في مراجعة الإنجازات والاندفاع في أفق التقدم الذي يتحول به الحاضر المتغير إلى مستقبل واعد[٨]، فهو يضع نفسه دائما موضع المساءلة متوترا برغبته في إعادة اكتشاف حضوره، ذلك الحضور الذي يتم من خلال ثلاث مستويات هي تأمل الوعي النقدي لعلاقته بموضوعه في الأدب من حيث كيفية قراءته أو إعادة بنائه، وتأمل الوعي النقدي لعلاقته بتراثه الخاص اتصالا او انفصالا، وأخيرا وعي النقد بحواره مع الخطابات الموازية، المشابهة والمناقضة الفاعلة فيه والمنفصلة عنه[٩]. وعمليات المراجعة والمساءلة هذه، التي لا تتوقف تؤدي إلى ((تولد خطاب نقدي جديد. هو خطاب "أنا" النقد المُحدَثةِ التي تبين عن ذات فاعلة، موضوعها هو عينُ ذاتها التي تستهل عهدا جديدا من المعرفة النقدية))[١٠]. ومن خلال هذا يتبدى بما لا يقبل الجدال أن جابر عصفور يرى نقد النقد جزءا لا يتجزأ من النقد الأدبي، وهو وإن قال بالانفصال بين الحقلين، من خلال تولد رؤية معرفية بالذات تتجاوز المألوف في نظرتها، وتجعل من نفسها محل تساؤل دائم ومرجعة مستمرة، إلا إنها مازالت تدور في فلك النقد الأدبي، فالذات هي، والمنطلقات هي، وكل ما يحدث من وجهة نظره هو عملية تجاوز وانطلاق نحو أفق جديد في محاسبة النفس ومسائلتها، ويقول ((ولذلك تزدوج الإشارة المرجعية في الخطاب النقدي، فيشير إلى الأعمال الأدبية التي يتناولها بوصفه كلاما على الكلام الأدبي، كما يشير إلى نفسه بوصفه كلاما على الكلام الذي هو بدوره كلام على الكلام الأدبي))[١١]، ومن أجل ذلك إذا تتبعنا مهمة نقد النقد، ومن وجهة نظر جابر عصفور، فسنجد أنها تقوم على: التحليل، والتفسير، والوصف، والتقويم[١٢]، وهي أربعة أركان لا تنفك فاعلة في مجال النقد الأدبي، ما خلا "التقويم" الذي تخلت عنه المناهج الحداثية وهي تمارس عمليتها النقدية في مجال التطبيق، لكن جابر عصفور أعادها وأعاد الاعتبار إليها وهو يستعرض مهمات نقد النقد.

وإذا كان نقد النقد جزءا من النقد الأدبي، وإذا كان الارتباط بينهما وشيجا إلى هذه الدرجة، فما أهمية التسمية بغير الاسم، وما الفائدة المتوخاة منها، وهل ستقدم جديدا؟تنطلق إجابة جابر عصفور من مبدأ أن الحداثة الفكرية التي عمّت الفكر النقدي العالمي، ولما كانت الحداثة تعني فيما تعنيه الانقطاع عن الماضي، او مراجعته ومساءلته وتبيان علله، فإن هذه الحداثة قد اختطت لنفسها مصطلحاتها الخاصة بها، التي تؤسس من خلالها لحداثتها، إن على صعيد الفكر او اللغة، او المصطلح[١٣]. هذه المعرفة تبدت أولا في فهم الشكلانيين ((من تمييز بين وعي الذات الناقدة بالموضوع ووعي هذه الذات بوعيها بالموضوع))[١٤]، وفي دارسي علم الدلالة، ثم تجلت أكثر عند البنيويين، ولذلك يقول صراحة إن ((هذه المعرفة الجديدة معرفة بنائية بأكثر من معنى، معرفة للكل فيها الأولوية على الأجزاء، وللحضور العلائقي هوى العقول التي تريد أن ترى النظام في الفوضى والجمال في النظام))[١٥]. ومن هدي هذه المدرسة وتلك جاء مفهوم "اللغة الشارحة" التي نعني بها النقد الأدبي، والتي من خلال شرحها للأعمال الأدبية صارت تسمى "اللغة الشارحة" أو (metalanguage)، والتي يمثل لها بما اورده الكاتب "رودولف كارناب" (١٨٩٢-١٩٧٠) في كتابه "مقدمة في علم الدلالة" ((إننا إذا كنا نبحث أو نحلل لغة من اللغات (ونرمز لها بالرمز ل١) نظل بحاجة إلى لغة أخرى (ونرمز لها بالرمز ل٢) نصوغ فيها بحثنا في "ل١"، او نصوغ فيها قواعد استخدام "ل١" وفي هذه الحالة نسمي "ل١" لغة الموضوع ونسمي "ل٢" لغة الشرح))[١٦]، وهنا ستبرز الحاجة إلى المصطلح الموازي للغة الشارحة آنفة الذكر، وهو مصطلح "النقد الشارح" أو (metacriticism)، وعلى مدى بقية ما يكتبه الدكتور جابر عصفور فإنه لن يقدم لنا جديدا في الأسئلة التي طرحناها سلفا حول أهمية التسمية الجديدة، او ما الذي سيقدمه المصطلح الجيد، أو ماهي مهمات "الناقد الشارح" الجديد حين اختلفت التسمية. سيسعى الدكتور جابر عصفور إلى التأكيد مرة أخرى على أهمية ما يطرحه البنيويون وآرائهم ومقولاتهم في محاولة منه لتثبيت المصطلح الجديد وتقويته وتقديمه كبديل مقبول لمصطلح نقد النقد فينقل مقولات "رومان ياكوبسون" التي نقلها عن "كارناب" من ضرورة التمييز بين اللغة الموضوع واللغة الشارحة ((ولم يقتصر هذا الإسهام على علم اللغة البنيوي وحده، حيث نظر "ياكوبسون" إلى اللغة الشارحة بوصفها وظيفة من وظائف "الحدث الكلامي" تشير فيها اللغة إلى نفسها، وإنما جاوزه إلى تأسيس "النقد الشارح" من منظور معرفي جديد. والمسافة بين "اللغة الشارحة" والنقد الشارح" هي المسافة بين طرفي المتصل نفسه في النظرية النبيوية التي أشاعها ياكوبسون وتلميذه "ليفي شتراوس"))[١٧]، وهنا تماما تبرز علة الاستعمال الجديد عند جابر عصفور، فهو الناقد البنيوي الذي أخذ بمقولات

البنيوية وتمثلاتها وطبقها في نقده للأدب العربي سواء على صعيد التراثي منه او المعاصر، وعليه فلا ضير عنده من أخذ مصطلحات البنيوية والزج بها في الساحة النقدية استكمالا لمنهجيته التي يتبناها ويعمل بمقتضاها، فمن ((السمات البارزة في مصطلحات عصفور النقدية تأثره بالنقد البنيوي، يظهر بوضوح في كيفية تركيزه على البنية الداخلية للنص الأدبي، بدلا فقط من الاهتمام بالسياق الخارجي))[١٨].ولما كان النقد الأدبي قد انطلق يمارس دوره بما تمت تسميته من قبل البنيويين باللغة الشارحة في مجال النقد، فإن اللغة عن هذه اللغة صارت تسمى "النقد الشارح" استنادا لتلك التسمية واستضاءة بضوئها، زد على ذلك أن الدكتور جابر عصفور درج في استخداماته المصطلحية على استخدام مفردة القراءة بدلا من مصطلح النقد، والسبب في ذلك كما يؤشره أحد الباحثين ((راجع إلى الرغبة في تأكيد الطابع التفسيري (التأويلي) لكل فعل من أفعال القراءة في مختلف المجالات الثقافية وكذلك تأكيد دور القارئ في عملية القراءة وهو ما فرض التركيز المعاصر على الجانب النظري والتطبيقي من معنى القراءة))[١٩]، ويؤيد ذلك تأكيد الدكتور جابر عصفور أن التركيز على فعل القراءة لا يتحقق ((إلا إذا أسسنا لغة شارحة تتولى الضبط المنهجي لحركة النقد الأدبي وممارساته، وذلك بكيفية ينعكس بها النقد على نفسه، ويشير إلى ذاته على سبيل الوصف أو التحليل، كما تنعكس اللغة على نفسها، وتصف ذاتها بذاتها قبل أن تصف علاقتها بالعالم، او حتى أثناء ممارستها فعل الإشارة إلى العالم))[٢٠].لم يلق اقتراح الدكتور جابر عصفور المصطلحي هذا الرواج المنشود، إذ لم يتم تقبله على صعيد التطبيق سوى عدد محدود من النقاد، وهم تلامذته في الأغلب، وهنا نعود إلى مقولة الدكتور عبد السلام المسدي السابقة عن كيفية شيوع المصطلح وانتشاره، إذ حاول الدكتور جابر عصفور إطلاق هذا المصطلح لعل أن يكتب له الشيوع، لكن أعتقد جازما أنه لم يشع ولم ينتشر إلا على نطاق محدود.إن المساهمة المصطلحية حق مشروع للدارسين، خصوصا لدارس بمكانة وحجم الدكتور جابر عصفور، لكن يبدو أن الدكتور جابر عصفور لم يتكئ على معطيات قوية أو راسخة تبرر لهذا المصطلح نجاعة الاستعمال، وفي هذا السياق نختلف مع التحليل النقدي القائل أن الدكتور جابر عصفور ((كان حريصا على أن تكون مصطلحاته ملائمة للسياق الثقافي العربي، في هذا السياق، سعى إلى تطوير مصطلحات نقدية تعكس خصوصية الأدب العربي وثقافته))[٢١]، في هذا المصطلح على الأقل، لأنه بدا واضحا أن سياق الاغتراف المصطلحي للدكتور جابر عصفور لم يكن أكثر من ترجمة لمصطلح وافد واستنادا إلى معطيات وافدة قد لا تكون البيئة العربية، ثقافيا وأدبيا، بيئة مناسبة أو متوافقة معها، وهو وإن نجح في الكثير من المصطلحات التي "اجترحها"، وهنا نؤكد على مصطلح الاجتراح، إلا إن المسألة غيرها في ترجمة المصطلحات، إذ سنعود مرة أخرى إلى لازمة (meta) التي اتكأ عليها أكثر مترجمي مصطلح نقد النقد، فكانت عرضة لسوء الفهم الكبير الذي بيّناه حين ناقشنا مقترح الدكتور عبد الملك مرتاض آنفا.ويمكننا القول أن الشيوع لم يكتب لهذا المصطلح، إذ على الرغم من أن كثيرا من المصطلحات التي تبناها الدكتور جابر عصفور قد كتب لها الانتشار والشيوع عند النقاد الآخرين المتأثرين بفكره وطريقته، إلا إن مصطلح النقد الشارح لم ينتشر ولم يشع بين الدارسين، مما يؤشر جانب رفض صامت لهذا المصطلح، وعلى الأغلب ان النقاد لم يعثروا على جديد فيه، ولم يمثل مخالفة حقيقية وأصيلة للمصطلح السائد "نقد النقد"، ولذلك لم يأخذوه على محمل الجد على الرغم من قلة الانتقادات التي وجهت للدكتور جبر عصفور حيال تبنيه لهذا المصطلح.

ثانيا: قراءة القراءة عبد الملك مرتاض

لقد أسهم الناقد "عبد الملك مرتاض" إسهامات مهمة وبارزة في ميدان الاجتراح المصطلحي، سواء أكانت مساهماته في اجتراح مصطلحات جديدة للمفاهيم الوافدة والمستجدة، او في مناقشته للمصطلحات القائمة والدارجة في الاستعمال النقدي. ولقد أسهب في كتبه الكثيرة في مناقشة المصطلحات والتعديل عليها او محاولة تبديلها بمصطلحات أخرى، وقد ذكر الدكتور "يوسف وغليسي" أن عبد الملك مرتاض ((يمتلك جرأة بليغة في بعض العمليات الاشتقاقية، ولاسيما تلك التي يحضرها الدرس النحوي التقليدي))[٢٢]، وإذا كان مرتاض قد نجح في اشتقاقات مصطلحية محمودة، على رأي مغليسي، فإنه يقدم ((على عمليات اشتقاقية غريبة على الأذن العربية))[٢٣]،وهذا ما حدا ببعض الدراسين إلى القول بأن ((جرأته الزائدة على استحداث المصطلحات لم يكتب لأكثرها النجاح))[٢٤]، لكنه مضى في منهجه وأكثر من الاجتراح، وقد نوّه دارسوه في مواطن عدة عن أسبابه ودواعيه وطريقته، والتي يسهب فيها أحيانا بتقديم الأسباب التي يرتبط أكثرها بمعنى المفهوم في لغته الأصلية أولا، ثم بالقواعد النحوية والصرفية للغة العربية التي تحتمل هذا المصطلح أو لا ثانيا، ومن النماذج المصطلحية هناك عدد من المصطلحات التي استقرت في النقد العربي واستعملها مرتاض نفسه في عدد من دراساته، لكنه عدل عنها إلى استعمال آخر، ذاكرا إسباب ذلك العدول، كالتفكيكية التي اقترح لها مصطلح "التقويضية"، والتناص الذي اقترح له "التناصية"، والتداول بدلا عن "التداولية"، والبنوية بديلا عن "البنيوية"، وغيرها الكثير[٢٥].ولعبد الملك مرتاض إسهامة مهمة في قضية اختيار المصطلح المناسب للحقل المناسب لخصها بأربع مراحل يرى أنه لا يستغني عن واحد منها بحال من الأحوال، وهذه المراحل هي:

١-البحث في الخلفية المعرفية للمصطلح، واستعمالاته عبر التاريخ. وما عساه يعني في اللغة الأصلية التي أختُرع فيها.

٢-النظر في أصوله الاشتقاقية التي استُعمل بمقتضاها انطلاقا منها في لغة الاستعمال الأصلية.. وذلك كي مندمجا في عبقرية اللغة العربية، غير ناشز الاستعمال فيها.

٣-لابد من التثبت من صحة الاستعمال صرفيا ونحويا حتى لا نشوّه العربية ونعيث فسادا في استعمالاتها.

٤-أن العلماء كثيرا ما يعمدون إلى لفظ معروف في الاستعمال العام للغة فيحولونه إلى مصطلح دال على معنى جديد لم يكن فيه لدى أصل الوضع، ويرى أن هذا خطأ منهجي يتوجب تركه.[٢٦]

وفي مجال نقد النقد كانت للدكتور عبد الملك إسهاماته الواضحة، فقد تناول هذا الموضوع في مواطن عديدة، وتناوله بالشرح والتوضيح وتبيان موقعه بين الفنون الأدبية المجاورة، وتحدث من مدى قدرته على تحقيق الغاية التي وجد من أجلها، ومن أبرز ما يمكن تأشيره والنظر إليه من آرائه حول الموضوع مايلي:يرى الدكتور مرتاض، على عكس الكثير من الدراسين، أن "نقد النقد" موجود أصيل في الثقافة العربية، لعلة بسيطة وواضحة وهي إنه ((لما كان أمر النقد العربي القديم ثابتا غير مدفوع، وواردا غير مرفوض، وجب ان يتولد عن وجود النقد المكتوب عنه، الناشئ من حوله، وهو "نقد النقد، ويمكن للباحث أن يرصد جملة من الكتابات النقدية العربية القديمة فيصنفها في إطار "نقد النقد"))[٢٧]، ويرى أن الدارسين العرب في العصر الحديث ومنهم "محمد مندور" لم ينتبهوا إلى هذه المسألة المهمة فدرسوا التراث النقدي بمجمله على أنه تراث نقدي فقط ولم يعرفوا مواطن نقد النقد فيه، ((ونحن نرى أن كثيرا من النقاد القدماء مارسوا نقد النقد إما تحت مفهوم النقد، وإما تحت السرقات الأدبية، وإما تحت رواية أقوال وآراء نقدية لعلماء لم يكتبوها لكنها عُرفت لهم، وعُزيت إليهم، ثم وقع التعليق عليها من آخرين لدى التدوين))[٢٨]، وقبل ذلك أكد مرتاض ((أن الذي سيعترض على أن يكون النقاد العرب مارسوا "نقد النقد" عليه أن يكون شجاعا لينكر، قبل ذلك، أن يكون العرب قد مارسوا حقا، نقدا أدبيا على الإطلاق))[٢٩]. هذا من ناحية النقاد في التراث العربي، اما على صعيد النقاد المحدثين فإنه قبل ذلك يعيب على النقاد العرب المحدثين إنهم مارسوا نقد النقد وعرفوه لكن لم يكونوا ممارسين له بالصيغة المنهجية الحقيقية ذلك أن الكثير من نقد النقد العربي المعاصر يفهم منه ((أن النقد الثاني يسعى إلى النقد الأول الذي يكتب عنه بنية الغمز والتهجين، وبدافع النعي والتنقيص))[٣٠]، وهو على غير ما وجد نقد النقد لأجله في مفهومه الغربي، ((فالنقد الثاني الذي يكتب عن الأول.. ليس بالضرورة أن يكون من أجل المعارضة والمناوأة، وكن من أجل إلقاء مزيد من الضيا، على أصول المذهب النقدي وتبيان أصوله المعرفية، وتوضيح الخلفيات التي تستمد منها مرجعياته على المستويين المعرفي والمنهجي جميعا))[٣١]، وهذه الفقرة الأخيرة هي التي نفهم منها، اختصارا، الغاية التي وجد من أجلها "نقد النقد"، بحسب رأي الدكتور مرتاض.أما على صعيد المصطلح نفسه، أي "نقد النقد" فإن الدكتور مرتاض يدخل في نقاش متعمق، قد يتناقض فيه أحيانا تناقضا ظاهريا، لكنه يعود من جديد ليلتمس المسار، ومن جملة حديثه عن مصطلح نقد النقد نفهم مايلي: يرى الدكتور عبد الملك مرتاض أن تودوروف قد أخطا حينما اختار مصطلح "نقد النقد" ليشر به إلى الدراسات التي تتناول النقد، والسبب برأيه، ان تودوروف اختار هذا المصطلح ترجمة لـ (meta– criticue)، مرجحا أن تودوروف ترجمه خطأ بسبب ((العجمة البلغارية التي نأت به عن استعمال مايستعمله القوم في الفرنسية الجديدة))[٣٢]. وهو إذ يوضح معنى هذه اللازمة (meta) والتي يسميها "سابقة" فإنه يرى أنها تعني في العلوم الطبيعية غير ما تعنيه في الفلسفة والعلوم الإنسانية، فهي تعني "التعاقب، والتغيير، والمشاركة" فهي في العلوم الطبيعية تعني ((ماوراء"، أو "مابعد" أو "مايجاوز" أو "مايشمل" بالقياس إلى شيء من الأشياء، او علم من العلوم))[٣٣]، وهنا تحدث الإشكالية برأيه حين تستعمل في سياقها الإنساني، فحين ترجم المترجمون العرب هذه اللاحقة في سياقها الإنساني صارت تعني عندهم تعني الإخراج والإبعاد، كما تعني الاحتواء والإدخال، فأي المعنيين هو المراد، خصوصا إذا علمنا أنها في الاستعمال الإنساني ((تعني انضياف شيء أو علم إلى آخر أثناء المهامشة والمجاورة فيلتحق شيء بشيء، أو يتسرب علم في علم، أو تحصحص معنى في معنى آخر، وذلك لاقتضاء العراقة المعرفية، فتصبح اللغة التي تتحدث عن اللغة .. فنتساءل هل نقول للغة الثانية "ماروا اللغة" أو "مابعد اللغة" ... وهل اللغة الثانية شيء يقع خارج إطار اللغة الأولى حقا؟ وما معنى أننا نتحدث عن نقد، او عن لغة نقد، بنقد على هامشه، أو من حوله، فنفضل الثاني عن الأول باستعمالنا مصطلح "ماروا"))[٣٤]. ورغم إقراره بخطأ الترجمة التي قام بها "تودورف" والتي جعلت مترجم كتابه إلى العربية يترجمها بنقد النقد، إلا إنه يقرّ أن اللفظة قد شاعت في الاستعمال النقدي العربي، وتقبلها النقد العربي تقبلا حسنا، على حد قوله، بل إنه يستسيغها حين يقرر أنها ترجمة صحيحة لها ما يشابهها في التراث العربي، فيضرب أمثلة مشابهة لها، مثل: "زمان الزمان" عند الأشعرية، و"معنى المعني" عند عبد القاهر الجرجاني[٣٥]، ولذلك يقبل بها كخطأ شاع وانتشر وصار مستقرا، مادام له ما يؤيده ويتوافق معه تراثيا، كما إنه لم يخرج عن الصياغة الصرفية العربية وأصولها. والخلاصة التي يخرج بها الدكتور مرتاض هي ((أن نقد النقد شكل معرفي مكمل للنقد، ومهدئ من طوره وضابط لمساراته))[٣٦]،

وفي هذا القول دليل على أنه أن نقد النقد جزء من النقد الأدبي لا ينفصل عنه بحال، ، ويؤكده قوله ((نرى أن نقد النقد سيزدهر ويتطور حتما نحو الأفضل، ما ظلّ النقد الأدبي نفسه يتطور، هو أيضا نحو الأفضل))[٣٧]، ووجوده حتمي ((فكما أنه كان للمبدعين من السارديين والشعراء نقاد ينقدونهم، فقد كان يجب أن يوجد نقاد كبار ينقدون أولئك الذين ينقدون))[٣٨].أما على صعيد اقتراح مصطلح بديل لنقد النقد، فإن عبد الملك مرتاض يطرح أربعة مصطلحات يرى انها مقبولة لتكون بديلا عن مصطلح نقد النقد، وهذه المصطلحات يشير إليها بقوله ((ويمكن ان نستعمل لذلك المعنى مصطلح "اللغة الواصفة" او "اللغة الحاوية" او حتى "لغة اللغة" أو "كتابة الكتابة" والمصطلحان الاثنان الأخيران من اصطلاحنا))[٣٩]، لكنه يعبر فوق هذا المقترح دون العودة إليه، وكأنه يلقي فقط حجرا في الماء الراكد ليرى تأثيره موجه وما سيسفر عنه، ليعود ويستعمل مصطلح نقد النقد ((وكأنه يسلم بمقولة الخطأ المشهور خير من الصحيح المهجور))[٤٠]، بل حتى دون أن يشير إلى مصطلحه القديم الذي اقترحه قبل ذلك، ودافع عنه، وهو مصطلح "قراءة القراءة" الذي هو مدار بحثنا هنا، والذي سنذكره على النحو الآتي: أظهر الدكتور عبد الملك مرتاض كتابه النقدي "قراءة القراءة"[٤١] عام ٢٠٠٣م، وفيه تطرّق إلى مسألة مهمة تتعلق بالقراءة ذاتها من خلالها نفهم لم اختار هذا المصطلح دون سواه، فالقراءة، من وجهة نظره، ترتبط بمسألة المنهج الذي من دونه لا نستطيع أن نقرأ، فالقارئ ((يبدأ بالتذوق– القدرة على التمييز– ويعبر منها إلى التفسير والتعليل، ثم إلى التحليل والتقييم، خطوات لا تغني إحداها عن الأخرى، وهي متدرجة على هذا النسق كي يتخذ الموقف نهجا واضحا))[٤٢]، ثم يشير إلى أن القراءة بحد ذاتها هي عملية تناص مع نص آخر "النص المقروء" بمعنى إعادة إنتاج له و تفاعل معه، مادامت لا تخرج عن كونها ((شرحا أو تحليلا أو تعليقا، او تفسيرا، أو تأويلا، أو تحليلا، أو تشريحا، او نقدا أو نقد نقد))[٤٣] ولذلك تصبح القراءة نشاطا ذهنيا وإبداعيا متعدد الأشكال، ويرى أن النقد هو رصد لهذه المظاهر القرائية، فهو قراءة أيضا ضمن ذات السياق، وبما أن النقد قراءة فإن قراءته أيضا ستدخل ضمن ذات السياق، فتكون تناصا آخر، فستصبح قراءة عن قراءة، ولذلك تسوّغ لديه ان يسمي نقد القراءة بـ"قراءة القراءة". لكنه مازال يميز بين النقد نقد وقراءة القراءة من خلال التفريق بينهما بخيط فاصل رفيع، حين يقول عن هذه القراءة الأخيرة أنها((في حدا ذاتها تناص مع قراءة سبقتها، تعتمد عليها وعلى آثارها لكي تحصل قراءة جديدة، فكأنها تقويض وتطنيب، في حين ان نقد النقد تنظير وتقرير حول تنظير وتقرير سبقا))[٤٤]، زعلة هذا التفريق أو هذا الخيط، كما أسميناه، عنده هي كون ((النقد يرتبط في المفاهيم التقليدية للثقافة الأدبية بضرورة إصدار الأحكام على نحو أو آخر، فيكون النقد المكتوب حوله مضطرا هو أيضا إلى الانسياق في إصدار أحكام أخرى حوله، في حين أن القراءة تنصرف إلى تحليل نص أدبي ما، بالكشف عمّا في طيّاته من مظاهر فنية، وبتعرية ما فيه من ملامح المتعة، وعناصر الجمال وبذلك فإن قراءة القراءة تنزع في الغالب إلى قراءة هذه القراءة بكل ما تشمل من إبداع وجمال فني مع تجنب إصدار الأحكام الاستعلائية))[٤٥]. أي إن المنزع الرئيس الذي حداه لتبديل المصطلح هو فقط تجنب إصدار حكم في نقد النقد، وليت تلك كانت علّة كافية، إذا الحقيقة، ان النقد وفي أكثر مناهجه الحداثية قد غادر مسألة إصدار الأحكام، ولم تعد واحدة من همومه أو غاياته، ولو اكتفى الدكتور مرتاض بالربط النسقي بين مفهوم القراءة "التناص" عنده والتي تؤدي إلى قراءة القراءة "تناص على تناص آخر" لكان أكثر إقناعا، ولربما كتب لمصطلحه هذا الشيوع والرسوخ كبديل لمصطلح نقد النقد، وهو مالم يحدث. وعليه فلا يجب أن يغيب عن أذهاننا ونحن نسير مع الدكتور مرتاض في هذا المصطلح ما ذكرناه سابقا من أقوال النقد عنه، حين تحدثوا عن جرأته المصطلحية، غير المبررة أحيانا، وعن كون هذه المصطلحات لم يكتب لها الشيوع والانتشار.

ثالثا: **الميتا نقد:** الناقد العراقي باقر جاسم محمد هو من اقترح هذا المصطلح في دراسة منشورة في مجلة "عالم الفكر"[٤٦]، وقد لقي هذا المقترح تفاعلا كبيرا بين الدراسين بين أخذ ورد وقبول ورفض. ولمناقشة هذا المقترح يجب تبيان مايلي: يؤكد الناقد أن مصطلح نقد النقد قديم قدم النقد الأدبي ذاته، فبداياته كانت مع بدايات النقد وملازمة له ويؤكد أنه ((يمكن إرجاع البدايات الأولى لنقد النقد إلى زمن بواكير التشكّل الأول للنقد نفسه. وذلك حين بدأت النظريات الأدبية تتفرع وتتخذ لنفسها مسارات مختلفة. إذ مما لاشك فيه إن أي نظرية جديدة في النقد تنطوي، ضمنا او صراحة، على نقد لما سبقها من نظريات))[٤٧]، ويقدم تفصيلات لما يمكن عده من "نقد النقد" عند الغرب والعرب، فعند الغرب مثلا يرى أن ما قدمه أرسطو في كتابه " فن الشعر" كان ردا على ما طرحه إفلاطون في "الجمهورية" مما يتعلق بنظرية المثل حين قدم أرسطو نظرية جديدة للأدب والفن تختلف عما قدّمه إفلاطون[٤٨]، أما عند العرب فإن ذلك تأخر لحين ازدهار الحركة النقدية العربية في القرن الرابع الهجري[٤٩]، وهو يشير بذلك، ضمنا، إلى تأثر الحركة النقدية العربية في مجال "نقد النقد"، إن جازت التسمية هنا، أيضا بالنقد اليوناني خصوصا إذا علمنا أن كتاب أرسطو "فن الشعر" كان قد ترجم إلى العربية ولاقى انتشارا واهتماما كبيرا بين النقاد، اما البواكير العربية التي عناها فهي من قبيل المثال لا الحصر، "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، و "الموازنة بين الطائيين" للآمدي (ت٣٧١هـ)، و "الوساطة بين المتنبي وخصومه" للقاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ)، والتي حوت فيما حوته ردودا وتعليقات وتنقيحات لآراء نقدية سابقة عليها، مما يعده الباحث من قبيل نقد النقد. ومن قبيل

نقد النقد أيضا أن ((أي إضافة إلى نظرية الأدب أو أي تكييف أو تحوير في التصورات النقدية إنما يقع في حقل نقد النقد "النظري"))[٥٠]. ويقفز الكاتب فجأة إلى النقاد العرب المحدثين وإلى ما كتبوه من نقود حوت ردودا وتعديلات وتوضيحات وآراء نقدية في النقد والنقاد ليقرر ((أن هذه الكتابات في مجال نقد النقد، على كثرتها وتنوعها، قد بقيت حتى الآن تدور في فلك النقد الأدبي والرد على مزاعمه النظرية والتطبيقية. ولم تنهض بما يجعل منها نظرية مستقلة في نقد النقد. وذلك على الرغم من وجود عدد كبير من الدراسات والمقالات التي مارست نقد النقد أو وضعت مصطلح "نقد النقد" في عنوانها))[٥١]. ومن الملاحظ المهمة على الباحث أنه يقفز دون ضابط بين الأزمنة والنقاد والدراسات، فيقفز من محمد مندور إلى أبحاث مجلة "فصول" في العدد المخصص لنقد النقد، وبعد عجالة في بيان اراء الدراسات التي حواها العدد، وبيان أن الدارسين فيها لم يتمكنوا من فكاك أسر ارتباط نقد النقد بالنقد الأدبي، يخلص إلى نتيجة مفادها أن استمرار الحاق نقد النقد بالنقد الأدبي سيستمر إذا أغفل الباحثون دراسة مظاهر الشبه والاختلاف بين هذين الحقلين، وعدم توكيد السمات الفارقة بين هذين الحقلين[٥٢]. وفي سياق ملاحظاته حول جهود الدارسين في هذا الحقل ومدى تمكنهم من تحقيق هذه الفوارق ومظاهر الشبه والاختلاف بين الحقلين يخلص إلى أن كل تلك الجهود لم تفلح في ذلك، لأسباب عديدة منها أن هذه الجهود لم ترق الى مستوى الممارسة الواعية لماهية حقل نقد النقد، ولم تقدم جهدا نظريا وفلسفيا مكرسا لتأصيل مفهومه، ولم تميز بين الصور المختلفة لنقد النقد والتي عدها ثلاثة، هي النظرية العامة لنقد النقد والممارسة المألوفة لنقد النظرية والثالثة الممارسة التطبيقية لنقد النقد بوصفه قولا على قول نقدي. ونتيجة لهذا كله ظلت الكتابات في هذا الموضوع عاجزة عن تطوير نسق من المفاهيم والمصطلحات خاصة بنقد النقد، لذلك بقي يدور في حقل النقد الأدبي.بل إن الإشكالية تزداد حين ((يستعمل بعض النقاد والأكاديميين مصطلح نقد النقد من دون تحديد لما يقصدونه منه تاركين الأمر لقارىء كتاباتهم أن يستخلص ما يشاء من حدود المصطلح))[٥٣]، وزاد الأمر تعقيدا، بحسبه، حين ظهرت نظريات القراءة والتلقي التي منحت القارئ حرية التأويل والفهم بحسب مدراكاته وثقافته وطريقة استقباله، وبما أن الناقد قارئ أساسا، فقد منحت قراءته حصانة أزاء المساءلة العلمية والأخلاقية، مما زاد من تعقيد مهمة نقد النقد[٥٤]، غير إنه ومن رحم هذه الإشكالية يجد الضوء في آخر النفق حين يقرر أن انواع القراءة التي أقرها نقاد التلقي لا يمكن الأخذ بها كلها على محمل الحقيقة، ما خلا ثلاثة أنواع منها هي القراءة غير المنتجة (وهي قراءة القارئ العادي)، والقراءة المنتجة (وهي قراءة الناقد) وقراءة مخصوصة (وهي قراءة ناقد النقد)[٥٥]، وهذه القراءة ستكون منتجة مرتين؛ مرة حين تقرأ النقد الأدبي، ومرة أخرى حين تقرأ النص الأدبي المنقود، وهذا يعني أن موضوع نقد النقد هو اوسع من موضوع النقد الأدبي لأن النقد الأدبي نفسه واقع تحت قراءة نقد النقد.وفي ختام بحثه يقترح الناقد تسمية بديلة لنقد النقد وهي "الميتا نقد" ومسوغه في ذلك ان أي علم ينشأ من تفرعات علم آخر لابد ان يستقل بمصطلحه الخاص لكي يتمكن من الرسوخ والثبات، ويضرب لذلك أمثلة، وهي أن الاتجاهات الحديثة في دراسة اللغة قد اجترحت مصطلحا لها وهو (liguistic) للدلالة على هذه الاتجاهات بدلا من المصطلح السابق لها وهو "فقه اللغة أو الـ (philology)[٥٦]، بمعنى أن أي تغيير مهم في الحقل العلمي يتوجب اجتراح مصطلح جديد مناسب له. وهذا عين الصواب لو أن الباحث قد اجترح المصطلح الملائم للموضوع، ويرى أيضا من أسباب ذلك ان مصطلح "نقد النقد" لم يعد صالحا لوصف المرحلة الجديدة لأسباب، وهي:

١- أنه يمثل مرحلة سابقة لم يكن نقد النقد فيها قد حقق لنفسه منزلة الحقل العلمي المستقل.

٢- أن المصطلح هذا لا يعبر عن مغايرة حقيقية عن النقد الأدبي.

٣-أنه لا يحقق مبدأ الاقتصاد في التعبير الكتابي، لأن المصطلح المكون من كلمة واحدة أفضل من المصطلح المون من كلمتين، والمكون من كلمتين أفضل من المكون من ثلاث كلمات، وهكذا.

وبعملية استقراء يقوم بها يجد أن النقد العربي تمسك بمصطلح نقد النقد رغم قصوره، في حين ان النقد الغربي تأرجح في الاستعمال بين مصطلح نقد النقد (criticism of criticism) ومصطلح (metacriticism)، وعليه فإنه يفضل المصطلح الثاني لأسباب، منها ان هذا المصطلح له سمة اصطلاحية واضحة، كما إنه ليس بعيدا عن حقل اللسانيات وعن مصطلحات مثل الميتافيزيقيا والميتالغة والميتاخطاب ...إلخ[٥٧]. ويختم الناقد باقر جاسم محمد بحثه بما يسمية "وظائف الميتا نقد" والتي يعدد فيها ما على هذا الحقل القيام به وهو يتعامل مع النص النقدي، ثم بعد ذلك يحدد ماهي صفات العملية النقدية الناجحة التي يجب أن يقوم بها ناقد العمل الأدبي لكي لا يتصدى له (الميتناقد) بالجرح والتعديل.ولمناقشة هذا المقترح برمته وما توصل إليه الكاتب، نقول الآتي: إن الكاتب قد عرض وباختصار، غير مخلّ، لتاريخية نقد النقد، وأشار بوضوح إلى الإشكالية التي تواجه نقد النقد وتمنعه إلى الآن من أن يكون حقلا معرفيا مستقلا بذاته عن حقل النقد الأدبي، وفي اماكن عديدة وضع يده على جرح المشكلات التي تواجه ناقد النقد وتعيق عمله، كما وأشر أسباب عدم تكامل الرؤية ووضوحها لمسألة الفرق الجوهري بين النقد ونقد النقد، لكن المحصلة النهائية التي خرج بها باقتراحه مصطلح "الميتا نقد" كمصطلح بديل لنقد النقد شابه إشكالات عديدة هي: اولا: إن الكاتب لم يأت بجديد في اختياره

لهذا المصطلح، فهو مقرّ سلفا بأن مصطلح "الميتا نقد" مصطلح مستعمل في النقد الغربي يتم استعماله بموازاة نقد النقد نفسه، أي أن المنظومة الغربية في النقد نفسها لم تستقر على مفهوم واحد في هذه المسألة، فما الجديد في هذا المقترح سوى استعمال مصطلح منقول بديلا عن مصطلح منقول آخر، أي ان العملية تنقصها الأصالة الفكرية والمنهجية التي هي أساس مهم في قضية الإضافة الفكرية لأي موضوع. ثانيا: إن مصطلح "المتا نقد" يعاني من إشكالية أخرى وهو أنه مكون من كلمتين اثنتين أحدهما عربي والآخر أجنبي، وهنا إشكالية أخرى تتعلق بأصالة المصطلح نفسه، ونحن نعرف ان التراث اللغوي العربي حافل بما لا يحصى من المصطلحات النقية في انتسابها إلى اللغة العربية، فهل عجزت العربية عن إيراد مصطلح قادر على حمل مفهوم نقد النقد لكي نستعين بلازمة مستوردة ونستعملها في هذا المجال، ويعلق الناقد "عباس عبد جاسم" على هذا المقترح المصطلحي بقوله: ((غير ان الحقيقة الأكيدة أنه أشكل هذا المصطلح بإشكالية مركبة، فـ"الميتا نقد" مصطلح نصفه لا تيني ونصفه الآخر عربي، كما انه يُعنى بـ "ما وراء النقد"، ولا يدل على "نقد النقد"، وسواء أكان "نقد النقد" لا يليق بالذوق العام أو الاستدلال عليه، فإن كليهما ملتبسان من حيث المصطلح والدلالة))[٥٨]. ثم إن هذا المصطلح المقترح مكون من كلمتين اثنتين، وهو نفسه قد عده عيبا اصطلاحيا. ثالثا: إن لازمة "الميتا" والتي تعني في استعمالها اللاتيني تحظى أيضا بإشكال مفاهيمي في أصلها اللاتيني فهي في الاستعمال تعنى أما "بعد" او "ماوراء" أو "تجاوز" فهي تشتبك عليها عدة استعمالات، ولا تستقر على استعمال محدد، ولذلك كثرت ارتباطاتها بمختلف الفنون والعلوم والأفكار، إلى الدرجة التي أصبحت تدخل حتى في التكنولوجيا الرقمية، ولذلك فلن يكون مصطلح "الميتا نقد" قادرا على حمل الحقول المفهومية المراد تحقيقها في نقد النقد. ورابعا: إن الكاتب وهو يحدد وظائف ما أسماه "الميتا نقد" لم يقدم جديدا مختلفا عما لو كان المصطلح المستعمل هو "نقد النقد"، صحيح انه قدم مقترحات جيدة لآلية عمل ناقد النقد وما هو مطلوب منه، لكنه في المحصلة لا دور للمصطلح المقترح في هذه الوظائف المطلوبة.

ومن نافلة القول في الختام أن نشير إلى محاولة أخرى في هذا المجال حاولها النقد العراقي الدكتور "محمد صابر عبيد" حين اقترح لنقد النقد تسمية "اللغة الناقدة" في كتابه "اللغة الناقدة مداخل إجرائية في نقد النقد" مبررا هذا الاستعمال بقوله ((إن وصف "لغة النقد" بـ"اللغة الناقدة" إنما هو ضرورة مقاربتها للغتين معا، اللغة الأولى "الإبداعية"، واللغة الثانية "النقدية"))[٥٩]، والحقيقة أن هذا المصطلح لم يزد عن كونه محاولة غير ذات جدوى، بسبب أن اللغة الناقدة كمصطلح ممكن أن تنطبق على أي لغة تمارس نقدا، أيّا كان مجال اختصاصها، أدبا أم فلسفة أم اجتماعا، أم حتى علوما تطبيقية، ولا تمتلك خاصية الانفراد بالنقد الأدبي لكي تكون بديلا صالحا ومقبولا فيه.

الخاتمة

يمكن في الختام أن نلحظ مايلي على صعيد استخدام مصطلح بديل لمصطلح نقد النقد:

-لم يقدم النقاد الذين تمت دراسة جهودهم في هذا البحث سببا مقنعا لرفضهم مصطلح نقد النقد، بهذه الصيغة، ولم يؤشروا نقاط ضعفه ومدى عدم قدرته على حمل المفهوم المطلوب لممارس عملية نقد النقد. سوى ما قاله جمال بقر جاسم من أن مصطلحا مكون من كلمة خير من مصطلح من كلمتين، وهكذا، وكأن مصلحه المقدم كان من كلمة واحدة.

-لم ينجح أي واحد منهم في تقديم بديل مقنع ومقبول عند أغلب الدراسين لكي يحل محل هذا المصطلح الشائع، وهو مصطلح نقد النقد.

-يبدو أن أغلب إشكاليات المصطلح راجع إلى الترجمة، واختلاف المترجمين ومشاربهم واختلاف اللغات التي يترجمون منها.

-من الواضح أن مصطلح "نقد النقد" مصطلح قارّ وراسخ في الاستعمال العربية، وشائع شيوعا واضحا إلى الدرجة التي تجعل أي مصطلح بديل له يعاني صعوبة بالغة في التقبل والشيوع، ومن ثم الرسوخ.

هوامش البحث

---

[١] عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٤، ص ١٥.

[٢] عصام بن شلال، ظاهرة الشذوذ المصطلحي في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مجلة البيان، تصدر عن رابطة الأدباء الكويتيين، العدد ٥٩٤، يناير، ٢٠٢٠م، ص ٣٧-٣٨.

[٣] نجوى الرياحي القسنطيني، في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره، مجلة عالم الفكر، العدد ١، المجلد ٣٨، يوليو ٢٠٠٩، ص ٣٥.

[٤] حازم هاشم منخي، حداثة المصطلح النقدي في خطاب الدكتور جابر عصفور. بحث منشور في مجلة أور للعلوم الإنسانية، العراق، العدد ٣، آذار ٢٠٢٥، ص ٤٦٨.

[٥] جابر عصفور، نظريات معاصرة، ص ٢٦٧.

[٦] المصدر السابق، المكان نفسه.

[٧] المصدر السابق، ص ٢٦٨.

[٨] ينظر: المصدر السابق، المكان نفسه.

[٩] المصدر السابق، ص ٢٦٨-٢٦٩.

[١٠] المصدر السابق، ص ٢٧٠.

[١١] المصدر السابق، ص ٢٧١.

[١٢] ينظر: المصدر السابق، ص ٢٩٠.

[١٣] المصدر السابق، ص ٢٧٠.

[١٤] المصدر السابق، ص ٢٧٩.

[١٥] المصدر السابق، ص ٢٧٠

[١٦] المصدر السابق، ص ٢٧٢.

[١٧] المصدر السابق، ص ٢٧٣.

[١٨] حازم هاشم منخي، المصدر السابق، ص ٤٦٩.

[١٩] عبد الدايم عبد الرحمان (كذلك)، منطلقات القراءة النسقية للتراث النقدي والبلاغي عند جابر عصفور، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة البويرة، الجزائر، المجلد ٦، العدد ٢، ٢٠٢٢م، ص ٥٠٦.

[٢٠] جابر عصفور، المصدر السابق، ص ٢٧٥.

[٢١] حازم هاشم منخي، المصدر السابق، ص ٤٦٩.

[٢٢] يوسف وغليسي، فقه المصطلح النقدي الجديد، مجلة علامات، ج ٥٥، م ١٤ ، مارس ٢٠٠٥م، ص ٣١٧.

[٢٣] المصدر السابق، ص ٣١٨.

[٢٤] المصدر السابق، ص ٤٤، وينظر مصدره.

[٢٥] للاستزاده من هذا الموضوع ينظر: عبد الله مخطاري، وجوه ومعايير ضبط المصطلح عند عبد الملك مرتاض، دراسة نماذج مصطلحية، مجلة أدبيات، تصدر عن جامعة حسيبة بن بوعلي بالجزائر/ المجلد ٣، العدد ١، ٢٠٢١، ص ٣- ١٤.

[٢٦] ينظر: عبد الملك مرتاض، صناعة المصطلح في العربية، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد ٢ ،٢٠٠٣، ص ٢٠- ٢٣.

[٢٧] عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومه، الجزائر، ٢٠١٠م، ص ٢٣١.

[٢٨] المصدر السابق، المكان نفسه.

[٢٩] المصدر السابق، ص ٢٣٠

[٣٠] المصدر السابق، ص ٢٢٨.

[٣١] المصدر السابق، المكان نفسه.

[٣٢] المصدر السابق، ص ٢٢٣.

[٣٣] المصدر السابق، ص ٢٢١.

[٣٤] المصدر السابق، ص ٢٢١.

[٣٥] ينظر: المصدر السابق، ص ٢٢٤.

[٣٦] المصدر السابق، ص ٢٥٣.

[٣٧] المصدر السابق، المكان نفسه.

[٣٨] المصدر السابق، المكان نفسه.

[٣٩] المصدر السابق، ص ٢٢٢.

(٤٠) فريد عوف، إشكالية المصطلح البلاغي في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر، عبد الملك مرتاض أنموذجا، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين، الجزائر، م ١٧، ع ٣، ٣٠٣٠م، ص ١٢٨.

(٤١) عبد الملك مرتاض، قراءة القراءة، تأسيس نظرية عامة للقراءة الأدبية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ٢٠٠٣، ص ٢٧.

(٤٢) المصدر السابق، ص ٢٨.

(٤٣) المصدر السابق، ٣٣.

(٤٤) المصدر السابق، ص ٣٩.

(٤٥) المصدر السابق، ص ٤١.

(٤٦) باقر جاسم محمد، نقد النقد أم الميتانقد (محاولة في تأصيل المفهوم)،مجلة عالم الفكر، العدد ١، المجلد، ٥٨، يوليو ٢٠٠٦، ص ١٠٧ – ١٢٨، وقد أعاد نشر المقالة في كتابه (الفكر النقدي وأسئلة الواقع)، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان، ٢٠١١، ١١١– ١٤١.

(٤٧) المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٤٨) المصدر السابق، المكان نفسه.

(٤٩) المصدر السابق، ص ١٠٧–١٠٨.

(٥٠) المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٥١) المصدر السابق، ص ١٠٨.

(٥٢) المصدر السابق، ص ١٠٩

(٥٣) المصدر السابق، ص ١١٢.

(٥٤) المصدر السابق، ص ١١٣.

(٥٥) المصدر السابق، ص ١١٤.

(٥٦) المصدر السابق، ص ١٢١.

(٥٧) المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٥٨) عباس عبد جاسم، نقد النقد .. وإشكالية المصطلح والمفهوم في الفكر النقدي، الثقافة الجديدة، موقع ألكتروني https://althakafaaljadeda.net/index.php/literature-and-art/955-2025-11-14-16-14-37

(٥٩) محمد صابر عبيد، اللغة الناقدة/ مداخل إجرائية في نقد النقد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط١، ٢٠١١م، ص ٥.

المصادر:

أولا: الكتاب المنشورة:

-باقر جاسم محمد، الفكر النقدي وأسئلة الواقع، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان، ٢٠١١.

-جابر عصفور، نظريات معاصرة،

-عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٤.

-عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومه، الجزائر، ٢٠١٠م.

-عبد الملك مرتاض، قراءة القراءة، تأسيس نظرية عامة للقراءة الأدبية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ٢٠٠٣م.

-محمد صابر عبيد، اللغة الناقدة، مداخل إجرائية في نقد النقد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط١، ٢٠١١م.

ثانيا: البحوث المنشورة في المجلات:

-باقر جاسم محمد، نقد النقد أم الميتانقد (محاولة في تأصيل المفهوم)،مجلة عالم الفكر، العدد ١، المجلد، ٥٨، يوليو ٢٠٠٦.

-حازم هاشم منخي، حداثة المصطلح النقدي في خطاب الدكتور جابر عصفور. بحث منشور في مجلة أور للعلوم الإنسانية، العراق، العدد ٣، آذار ٢٠٢٥.

-عبد الدايم عبد الرحمان (كذلك)، منطلقات القراءة النسقية للتراث النقدي والبلاغي عند جابر عصفور، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة البويرة، الجزائر، المجلد ٦، العدد ٢، ٢٠٢٢م.

-عبد الله مخطاري، وجوه ومعايير ضبط المصطلح عند عبد الملك مرتاض، دراسة نماذج مصطلحية، مجلة أدبيات، تصدر عن جامعة حسيبة بن بوعلي بالجزائر/ المجلد ٣، العدد ١، ٢٠٢١.

-عبد الملك مرتاض، صناعة المصطلح في العربية، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد ٢ ، ٢٠٠٣.

-عصام بن شلال، ظاهرة الشذوذ المصطلحي في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مجلة البيان، تصدر عن رابطة الأدباء الكويتيين، العدد ٥٩٤، يناير، ٢٠٢٠م.

-فريد عوف، إشكالية المصطلح البلاغي في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر، عبد الملك مرتاض أنموذجا، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد لمين دبابغين، الجزائر، م ١٧، ع ٣، ٣٠٣٠م.

-نجوى الرياحي القسنطيني، في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره، مجلة عالم الفكر، العدد ١، المجلد ٣٨، يوليو ٢٠٠٩.

-يوسف وغليسي، فقه المصطلح النقدي الجديد، مجلة علامات، ج ٥٥، م ١٤ ، مارس ٢٠٠٥م.

ثالثا: المواقع الألكترونية:

عباس عبد جاسم، نقد النقد .. وإشكالية المصطلح والمفهوم في الفكر النقدي، الثقافة الجديدة، موقع ألكتروني https://althakafaaljadeda.net/index.php/literature-and-art/955-2025-11-14-16-14-37.